بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الشيخ: د/ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين

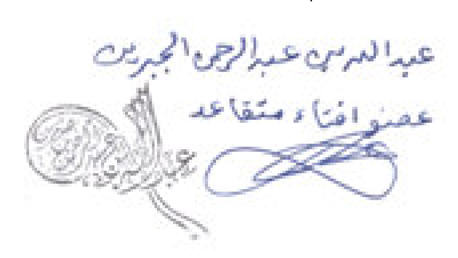
الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وبعد :

فقد قرأت هذه الرسالة التي كتبها الأخ عبد الله بن محمد السدحان ، وقد أبدع في اختياره لهذه المواعظ والنقول المفيدة ، **وقد أجاد وأفاد وحصل على المراد** ، وما ذاك إلا لما شاهده من تهافت الكثير من المسلمين في الذنوب ، وإصرارهم على الكبائر ، وعدم مبالاتهم بعواقبها السيئة .

ولاشك أن الذنوب والخطايا **سبب لمحق البركات وإنزال العقوبات** ، وإنما حلّ بالأمم السابقة **إنما هو عقوبة عاجلة على كفرهم وشركهم واستمرارهم على المعاصي والمخالفات**، وأن العقوبة الآجلة أشد وأبقى ، وقد قال ﷻ في بعض المعذبين في الدنيا : ﴿ **وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَء لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ** ﴾ الحشر/٣ .

ومع ما نسمع ونقرأ ، ومع كثرة المواعظ والعبر والنصائح نشاهد الكثيرمن الدول والأفراد والجماعات ممن يفتخر بالإسلام يُصِرُّون على كبائر المحرمات ، وقد يفتخرون بعملها ، ويتمدح أحدهم بما عمله وكأنه حسنات يؤمل الثواب عليها ، **وذلك من الغرور وتسويل الشيطان** ، فعلى المسلم أن يقبل على ربه ويصلح عمله، ويصدق التوبة ، ويكثر من الأسف والندم على مافرط فيه من عمره ، والله تعالى يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .



المقدّمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فال هادي له ، ونصلى ونسلم على نبينا محمد : الرحمة المهداة ، أرسله الله على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل ، ففتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا ، وقلوبًا غلفًا . وبعد :

فكثيرًا ما يشتكي العباد من **قسوة القلوب ومحق البركات ووساوس الشياطين والانشغال بالدنيا عن الدين .**

وغفلوا عن قوله ﷻ : ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** ﴾ ابراهيم/ ٤٢ .

قال ميمون بن هارون رحمه الله في معنى هذه الآية : **(هي تعزيةٌ للمظلوم ووعيدٌ للظالم).**

وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله : **(نحن نسل من نسل الجنة سبانا إبليس منها بالمعصية ، وحقيق على المسيء أن لا يهنأ بعيشه حتي يرجع إلى وطنه) .**

فإذن : **ما هذا إلا ثمرة المعصية وشؤمها** ، قال الله ﷻ :﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ القلم /٣٥ - ٣٦ ، وقال ﷻ : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ الجاثية/٢١ ، وقال ﷻ: ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ ص/٢٨ .

وسبب المعصية كما قال شيخ الإسلام رحمه الله : (إن صاحب المعصية يحدوه في ذلك الغفلة والشهوة وهي أصل الشر، قال ﷻ ﴿ **وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ الكهف/٢٨ ، والهوى لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل ، وإلا فصاحب الهوى إذا علم أن ذلك يضُرُّه ضررًا راجحًا انصرفت نفسه عنه بالطبع ، ولذلك يقول الصحابة : **كل من عصى الله فهو جاهل**) .

ولكن هذا المسكين **لا يعـذر بجهلـه** ، فلا بد من تدبُّر العواقب وما تجرُّه المعاصي من شؤمٍ على صاحبها في الدنيا والآخرة ـ عياذا بالله من ذلك ـ ، لأن العاصي حين يعصي : يعصي من ؟ **إنه يعصي ملك الملوك !**

قال بلال بن سعد رحمه الله : **(لا تنظر إلى صِغَر الخطيئة، ولكن انظر إلى عِظَم من عصيت)** .

والذي دعاني إلى كتابة هذا البحث هو: تساهل كثيرٍ من المسلمين للأسف الشديد في اقتراف المعاصي ، وتصورهم أن مجرد التوبة فقط كافٍ في محو الذنوب !

يقول ابن القيم رحمه الله: **(الذنوب جراحات ، ورُبَّ جُرح وقع في مقتل)** .

ووالله إنه لا يكفي مجرد اسم التوبة ؛ بل لا بد من **الندم والخوف وملازمة الإستغفار، مع بذل الحسنات وأعمال البر** حتى نكون من المقرَّبين الناجين ، قال ﷻ: **﴿ إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾** الفرقان/٧٠ ، وقال : **﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً ﴾** الفرقان/٧١ .

فيا أخـي المـسلم : إذا نازعتك نفسك في المعصية وفكَّرت فيها وعزم قلبك على اقترافها **فاقرأ ما ورد في شؤم المعصية وعاقبتها** في ثنايا هذه البحث ، **وتـذكَّر عظمـة خالقـك ، وفـضله عليـك** ، الذي أنعم عليك نعمة الصحة والعافية ، ولولاهما لما استمتعت بهذه المعصية ، وقد لا تتمكن منها ، ووازن يا أخي الكريم بين الأمور فإنما هي لذَّة لحظاتٍ ، أرجو أن تتذكر معها مرارة الحرمان ، **ولا خير في لذة عاقبتها نار** .

أسألُ الله أن يعصمني وإياك من كل سوء ومكروه .

اللهم حقق بالرجاء آمالنا ، وحسَّن في جميع الأحوال أعمالنا ، وسهِّل في بلوغ رضاك سُبُلنا ، وخذ إلى الخيرات بنواصينا ، وآتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، برحمتك يا غفَّار ، **وصلِّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ..**

تمهيد

منشأ المعصية

✷ أول ذنب عُصي الله به في السماءِ [(١)]:

هو **حسد إبليس لآدم** حيث لم يمتثل لأمر الله في السجود له، وذلك ناتج عن كبر وغرور وعزة .

بعد ذلك **عصيان آدم وحواء** حينما أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن أكلها وذلك بتحريض من إبليس ـ لعنه الله ـ، ثم تاب وقبل الله منهما التوبة، وذلك: (**لأن ترك الأمر عند الله أعظم من ارتكاب النهي**، لأن آدم نهي عن أكل الشجرة فأكل منها، فتاب الله عليه، وإبليس أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه[(٢)]، لأن ذنب ارتكاب النهي مصدره في الغالب الشهوة والحاجة، وذنب ترك الأمر مصدره في الغالب الكبر والعزة، ولا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ويدخلها من مات على التوحيد، وإن زنى وسرق). [(٣)]

إذاً من ترك شيئاً من أوامر الله كالصلاة ونحوها فهو بلا شك في خطر عظيم.

فما أثر معصية آدم وحواء على ذريتهما؟

في حديث أبي هريرة ﵁ قال رسول الله ﷺ : **« لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر».** [(٤)]

أي أن حواء خانت آدم **في إغرائه وتحريضه على مخالفة الأمر** بتناول الشجرة، فنزع العرق في بناتها بسبب شؤم المعصية، **وليس المراد بالخيانة هنا الزنا.**

وفي الحديث عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم مسح

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٦٠.

(٢) لأنه امتنع أصلاً من التوبة فلم يتب الله عليه، وإلا فإن الله تواب رحيم، لأنه ﷻ يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

(٣) الفوائد لابن القيم ٢٠٥.

(٤) رواه مسلم / مختصر صحيح مسلم للمنذري رقم الحديث ٨٦٤ ص ٢١٩، وهذا جزء من الحديث.

ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، قال: رب وكم جعلت عمره، قال ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟ قال: **فجحد آدم فجحدت ذريته! وخطئ آدم فخطئت ذريته!** ».[(١)]

فنسيان آدم **نسيانه النهيَ** عن أكل الشجرة، فنزع ذلك في ذريته بسبب شؤم المعصية، **وأخطأ هو وزوجه** فأكلا من الشجرة، فنزع ذلك الخطأ في ذريته بسبب شؤم المعصية، **وجحد آدم** حينما أعطى من عمره لابنه داود، فنزع ذلك في ذريته بسبب شؤم المعصية.

✷ أول ذنب عُصي الله به في الأرض [(٢)]:

هو **حسد قابيل لأخيه هابيل** حتى قتله، ففي الحديث: عن الأعمش عن عبدالله بن مرَّة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود ﵁ قال: قال النبي ﷺ: « ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول **كفلٌ منها، ذلك بأنه أول من سنَّ القتل** ».[(٣)]

فما من إنسان يقتل ظلماً إلا ويلحق بعض إثمه قابيل، وذلك **بسبب شؤم المعصية**.

(١) أنظر صحيح الترمذي للألباني ٣/٥٣
(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٦٠.
(٣) رواه البخاري في صحيحه من طريق الأعمش انظر: الفتح ١٢/١٩٨، رقم الحديث ٦٨٦٧.

الفصل الأول

أسباب المعاصي

للمعاصي أسبابٌ ودواعٍ يرجع مجملها إلى أمور ثلاثة، يلخصها ابن القيم رحمه الله فيما يلي:

تعلق القلب بغير الله، ويؤدي ذلك إلى **الشرك**.

طاعة القوة الغضبية، ويؤدي ذلك إلى **الظلم**.

طاعة القوة الشهوانية، ويؤدي ذلك إلى **الفواحش**.

فغاية التعلق بغير الله : **الشرك** ، وأن يدعى معه إله آخر.

وغاية طاعة القوة الغضبية: **القتل** .

وغاية طاعة القوة الشهوانية: **الزنا** .

ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله عز وجل : ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً**﴾ الفرقان/٦٨.

وهذا الثلاثة (**يدعو بعضها بعضاً**، فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن التوحيد والإخلاص يصرفها عن صاحبه).(١)

وهذا تالله هو حاصل واقعنا المرير ، حيث تسلط أرباب الكفر على رقاب المسلمين بلا هوادة ولا رحمة، فلا تكاد تسمع بمأساة في جميع أرجاء العالم إلا وللمسلمين النصيب الأكبر من تلك الأمور الثلاثة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، وهذا بسبب شؤم المعاصي عياذاً بالله منها.

---

(١) الفوائد لابن القيم ١٣٨ ـ ١٣٩ بتصرف يسير.

الفصل الثاني

أثر المعصية في الأمم السابقة

يوسف عليه السلام :

عن الحسن قال النبي ﷺ : « رحم الله يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث ، قولهُ : ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ » ، ثم يبكي الحسن ويقول: ونحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس ! (١)

إخوة يوسف الأحد عشر و (بنو إسرائيل) من ذريتهم :

وما جاء في قصتهم في القرآن مع أخيهم يوسف ، وهي معروفة ، وفيها : قولهم: ﴿ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾ ، فنشأ من ذلك الحسد ونزع في ذريتهم ذلك ، وقولهم : ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ ، فنشأ من ذلك الافتراء والكذب ونزع ذلك في ذريتهم، وقوله تعالى على لسان أخوة يوسف : ﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ ، فمن شؤم معصيتهم أن نشأ الحرص على إنفاذ مصالحهم بشتى الطرق ولو أدى ذلك إلى القتل في سبيل تنفيذ مخططاتهم ونزع ذلك في ذريتهم(٢) ، وقولهم : ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ ، فنشأ من ذلك حب المال ونزع ذلك في ذريتهم ، واندرجت تلك الصفات الذميمة في نسلهم من بني إسرائيل، وسكنوا مصر، ثم ظلوا تحت حكم فرعون، فبطش بهم، وأذاقهم الذل والهوان، فقتَّل أبناءهم، واستحيا نساءهم .

ثم بعث الله نبيه موسى عليه السلام لِيُخرِجَ بني إسرائيل من حمأة الذل لعلهم

---

(١) الزهد للإمام أحمد ص:١٠٣. علق شيخ الاسلام ابن تيمية عند قوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ بقوله: (ليس في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ ما يناقض التوكل، بل قد قال يوسف: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ﴾، وقوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ مثل قوله: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضاً للتوكل ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه وليس فيه إلا مجرد أخبار الملك به ليعلم حاله ليتبين الحق، ويوسف كان من أثبت الناس) / انظر الفتاوى م١٥ ص ١١٣/ ١١٤ بتصرف.

(٢) وانظر إلى المجازر التي ترتكب من يهود هذا الزمان فما مصيبة من في العالم إلا وراءها يهود في سبيل تنفيذ بروتوكولاتهم ومخططاتهم لعنهم الله وعجل بهلاكهم وزوالهم ونصر الإسلام المسلمين آمين.

يشكرون، وتبدأ قصة طويلة عجيبة تبدأ بتكريمهم حيث يقول الله ﷻ: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ البقرة/٤٧ . **وتفضيلهم هنا:** أي بكثرة الأنبياء فيهم، وإيثارهم بالنعم وإغراق عدوهم فرعون في البحر الذي عبروه، **ومع ذلك التكريم** فقد سرقوا ذهب المصريين وأموالهم، وذلك لحبهم المال.

وأدهى من ذلك صناعتهم للعجل من الذهب بعد العبور وعبادتهم له بعد ذهاب موسى إلى ميقات ربه! فسَرَي فيهم غضبُ الله بشؤم معصيتهم إلى قيام الساعة، إلا المؤمنون منهم حيث يقول الله ﷻ: ﴿ **وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ** ﴾ البقرة/٩٣ ، ولما كان العجل مصنوعاً من الذهب صار حب الذهب في نفوسهم حيث نجد الآن أصحاب رؤوس الأموال والاحتكارات هم من اليهود .

ومن صفاتهم الذميمة: العناد، والعصيان، واختلافهم على أنبيائهم .

فمن ذلك عندما **أمروا أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا حطَّة** حتى تُغفر لهم ذنوبهم ويتوب الله عليهم: ﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ** ﴾ الأعراف/١٦٢ . فقالوا استهزاءً: حنطة حنطة .

ومن ذلك **قصة البقرة:** ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً** ﴾ البقرة/٦٧ . فكان من شؤم مشاقّتهم وجدالهم أن شدَّد الله عليهم في الطلب، ونزع ذلك في ذريتهم.

ومن ذلك **قصة أصحاب السبت** وشؤمهم في الكيد والاحتيال أن مسخوا قردة وخنازير.

ومن ذلك **قصة طعام الجنة (المن والسلوى)** ، الذي لا يملُّ آكلهُ، لأنه طعام كلِّيٌّ لا تملُّهُ النفس(١)، وليس بنِسبِيٍّ، ولكن لِما جُبل عليه بنو إسرائيل من العناد طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو الله أن يعطيهم من نبات الأرض من القثاء والفوم والعدس والبصل واستبدالهم الأدنى بالذي هو خير، حينما كانوا في سيناء، **فكان من شؤم معصيتهم** أن أهبطهم الله أرض مصر، وضرب عليهم الذلة والمسكنة، وباؤا بغضب من الله ، وصار ذلك باقياً فيهم وأجيالهم من بعدهم الذين لم يهتدوا إلى الحق.

ومن شؤم معصيتهم أن الله أمرهم ألا يدَّخروا الطعام، وكان الطعام حينئذٍ لا يتغيَّر ولا يَنتِنُ حتى لو مَرَّ عليه الوقت الطويل، ولكن ما جُبِلَ عليه بنو إسرائيل من العناد

---

(١) لأنه من طعام الجنة.

والمخالفة أدى إلى ادِّخار الطعام، **فخبث الطعام بشؤم معصيتهم من ذلك الوقت.**[١]

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **« لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ».** [٢]

✷ شؤم فرعون على نفسه وأهل بيته وزبانيته :

حيث أصابتهم اللعنة في الدنيا: ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾ غافر/٤٥. حتى كنوزه لم تسلم من اللعنة عياذاً بالله فلا يقتنيها أحدٌ إلا أصابه شؤم تلك اللعنة[٣]، ومن هنا عرفت تلك الكنوز (**بلعنة الفراعنة!**)، أما في الآخرة: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ غافر/٤٦

✷ أقوام صالح وشعيب وهود ونوح ولوط عليهم السلام :

أقوام أهلكوا وأبيدوا بالصيحة والريح والغرق والحجارة من السماء، **ومن شؤم المعصية:** أنها **لا تُسكَنُ ديارهم** ولا يُشرب من آبارهم، **وفقدان علومهم** في فن النحت في الجبال، **ومعرفة أماكن المياه والمعادن** تحت باطن الأرض [٤].

وبقيت آثارهم دليلاً عليهم ، وإثباتًا لتفوُّقهم الذي تعجز معه أدق الآلات في وقتنا

(١) ولم نحتج إلى أجهزة التبريد اليوم لحفظ الأطعمة، **ويعتبر هذا تاريخياً بداية نشوء الجراثيم السابحة في الجو.**

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني رقم الحديث ٨٦٤، ص: ٢١٩.

(٣) أي لعنة الله كما في قوله: ﴿**وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ القصص/٤٢، لا كما يزعمه علماء الآثار أن فرعون وضع على ممتلكاته وكنوزه طلاسم، وأن من اقتناها حلت عليه لعنة فرعون وما وجد من كتابات هيروغليفية فهي ممن جاء بعدهم ممن عجز عن اقتناء تلك الكنوز بسبب لعنة الله عياذاً بالله.

(٤) وهو ما يعرف علمياً (بالموجة الذاتية) وتسمى (العصا الكاشفة) ويستدل بها على أماكن المياه والمعادن والنحت عن طريق معناطيسية الأرض بواسطة الأشكال الهندسية وهو علم لا يزال مجهولاً، ولا توجد في الوقت الحاضر إلا آثاره على نطاق ضيق، وكان ذلك بسبب شؤم المعصية، ولذلك تأتي معجزة كل نبي تشاكل ما عند القوم من القوة فقوم موسى -عليه السلام- برعوا في العصا الكاشفة حتى استُخْلِصت في السحر: ﴿**فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ**﴾ الشعراء/٤٤، فجاءت معجزة موسى عليه السلام العصا لتنقلب إلى ثعبان حقيقي وتستنبط العيون على وجه الأرض، وتيبس البحر حقيقة بإذن الله! وكذلك قوم عيسى عليه السلام برعوا في الطب فجاءت معجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله. واستخدم قوم صالح فن النحت في الجبال وصوروا التماثيل عليها فجاءت معجزة صالح عليه السلام الناقة التي خلقت من الجبل! وجاء قوم محمد ﷺ فبرعوا في الشعر والبيان فجاءت معجزته القرآن باقية إلى قيام الساعة ببيانه البديع وعلومه العظيمة مما يدل على بقاء العلم والكتاب إلى قيام الساعة.

الحاضر أن تنحت مثل نحتهم، **فهم ظلموا أنفسهم**، وأول من اعترف بذلك أبوهم آدم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف/٢٣ ، وقال عن هؤلاء: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ (١) خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ النمل/٥٢ .

✷ سرُّ تعذيب الكفار في نار جهنم العذاب الدائم :

قال ﷻ عن الكفار: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ (٢) عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ الأنعام/٢٧- ٢٨ .

تأملت هذه الآيتين فتعجبت كثيراً فحينما يلقى الكفار في نار جهنم ـ أعاذنا الله منها ـ فيلقون شدة العذاب فيتمنون الخروج ليعملوا عملاً صالحاً ، فيرُدُّ عليهم العزيز الجبار: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ ، ويزول عجبك حينما تعلم أن الران قد غطى قلوبهم فأصبحت قاسية كحجارة جهنم، بل أشد قسوة فلا تتأثر بالخير لعدم قابلية المحل، فأصبحوا بشؤم المعصية وقوداً للنار وطعاماً لها لا تتَّقِدُ إلا بوجودهم، فخلدوا فيها.

قال ﷻ عن النار: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ البقرة/٢٤ ، فلم يظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون.

روى أحمد ومسلم عن حذيفة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير (أي تأثير الحصير في جنب النائم) عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها (أي خالطته) **نُكِتَ فيه نكتة بيضاء** ، حتى يصير القلب **أبيض مثل الصفا** (الحجر الأملس)، لا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض ، والآخر **أسود مُربَدًا** (أي شدة البياض مع السواد) كالكوز مجخياً (أي منكوساً) ، لا يَعرِفُ معروفاً ولا يُنكِر منكراً، إلا ما أُشرب من هواه». (٣)

---

(١) وانظر: إلى كلمة بيوتهم وفي آية أخرى ﴿مَسَاكِنُهُمْ﴾ القصص/٥٨ ، لا كما يزعمه علماء الآثار وأذنابهم من أنها مقابر قد شيَّدوها ومدافن نحتوها، بل أصبحت تلك المساكن مقابر لهم بعد حلول العذاب واللعنة عليهم عياذاً بالله منها.

(٢) وقفوا: أي ادخلوها، ونصر ذلك المعنى الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/٢٦٢ فقال: أي ادخلوها.

(٣) أنظر صحيح الجامع للألباني رقم الحديث (٢٩٥٧).

الفصل الثالث

أثر المعصية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم

الرجل الذي قال لمحمد ﷺ: « ما عدلت ! » :

عن أبي سعيد قال: قال علي رضي الله عنه: أتيت رسول الله ﷺ، بذهبة وتربتها وكان بعثه مصدقاً إلى اليمن، فقال : « أقسمها بين أربعة: بين الأقرع بن حابس، زيد الطائي، وعيينة بن حصن الفزاري، وعلقمة بن علاثة العامري »، فقام رجل غائر العينين، ناتئ الجبين، مشرف الجبهة محلوق، قال: والله ما عدلت ! فقال: « ويلك من يعدل إذا لم أعدل إنما أتألَّفُهُم »، فأقبلوا عليه ليقتلوه، فقال: «اتركوه فإنه من ضِئْضِئِي هذا قوم يخرجون في آخر الزمان يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنَّهُم قتل عاد ».(١)

فخرج الخوارج(٢) وأحدثوا ثُلمةً في تاريخ الإسلام **بشؤم معصية أبيهم لأجل كلمة !** (٣)

إخفاء ليلة القدر :

في الحديث أن النبي ﷺ قال: « يا أيها الناس إنها كانت أُبِيْنَت لي ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم بها، فجاء رجلان يَحْتَقَّان، معهما الشيطان، فَنَسيتها» (٤) الحديث.

فأُخفيت ليلة القدر بشؤم المعصية وهي **تلاحِي الرجلين**، فاختفى خير عظيم!

---

(١) حديث صحيح كتاب السنة لأبي عاصم تحقيق الألباني ص:٤٢٧، ٤٢٦.

(٢) يبدو لي والله أعلم أن الحجاج كان يستأنس بهذا الحديث مما جعله يسرف في القتل !

(٣) أنظر إلى هذه الكلمة: وهي مجرد كلمة كيف برمجت في جيناته الوراثية وتتابعت في ذريته ليأخذ شؤم المعصية بُعداً آخر، وصدق رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله يخر بها في النار سبعين خريفاً».

(٤) مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني رقم الحديث٦٣٧، ص١٧٠ ومعنى: يحتقان كل يطلب الحق لنفسه مع رفع الصوت.

✷ الناقة الملعونة :

عن عمران بن حصين ﵁ قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة). قال عمران: فكأني أراها تمشي في الناس ما يعرض لها أحد(١)!.

وذلك بسبب شؤم المعصية **فتُركت حتى ماتت!** ويقاس على ذلك كل شئ لعنه ابن آدم، عياذاً بالله من ذلك.

✷ دعوة الرسول ﷺ على مضر :

في قوله: **« اللهم أشدد وطأتك على مضر، وابعث عليهم سنين كسِني يوسف »** .
فتتابعت عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين حتى أكلوا القَدَّ والعظام بشؤم معصيتهم ودعوة الرسول ﷺ، ونال ذلك الجدب أيضاً رسول الله ﷺ وأصحابه، وبدعائه عمَّت العقوبة الجميع، حتى شدَّوا على بطونهم الحجارة من الجوع(٢).

✷ منع القطر :

قال أبوهريرة ﵁: **(إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم)**، وقال مجاهد: (إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وتقول هذا بشؤم معصية ابن آدم)، وقال عكرمة: (دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: **منعنا القطر بذنوب بني آدم)**(٣).

وقال انس بن مالك ﵁: **(إن الضب في جحره يموت هزلاً بذنب ابن آدم).**(٤)

يقول ابن القيم: فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يبوء بلعنة من لا ذنب له! (٥)

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص: ٤٨٠- ٤٨١، رقم الحديث ١٨٢٠.
(٢) تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة ص:٢٣٣.
(٣) الجواب الكافي لابن القيم ١٦.
(٤) تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة ص:٢٣٣.
(٥) الجواب الكافي لابن القيم ص:١٦. المراد بمن لا ذنب له سائل الدواب والبهائم كما في الآثار المتقدمة.

✷ عقاب الله يعُمُّ الصالح والطالح :

قال ﷻ: ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ الأنفال/٢٥.

قالت زينب ﵂: يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « **نعم إذا كثر الخبث**».

وقد أغرق الله أمة نوح عليه السلام كلَّها بأطفالها وبهائمها، بذنوب المكلفين، وعاداً بالريح العقيم، وثمود بالصاعقة، وقوم لوط بالحجارة، ومسخ أصحاب السبت قردة وخنازير، وعذب بعذابهم الأطفال، فإن قيل كيف يعاقب الله العامة بظلم الخاصة، وقد تبرأ من الظلم حيث يقول: ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ق/٢٩ ؟ أجبناهم بقول إياس بن معاوية فإنه قال: قلت لبعضهم: ما الظلم في كلام العرب؟ فقال: أن يأخذ الرجل ما ليس له، قلت: **فإن الله تعالى له كل شئ** (١) ثم يبعثهم الله على نياتهم.

✷ قول النبي ﷺ للصحابة: (قوموا عني) :

عن ابن عباس ﵄ قال: (لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال رسول الله ﷺ: « هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». فقال عمر: (إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله) (٢). فاختلف من في البيت، فقال قوم: قرِّبوا يكتبْ لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ! وقال قوم: ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند رسول الله ﷺ، قال لهم: «قوموا عني» (٣).

قال عبيدالله: وكان ابن عباس يقول: (إن الرزيَّة كل الرزيَّة ما فات من الكتاب الذي أراد رسول الله ﷺ أن يكتب أن لا تضلوا بعده أبداً لما كثر لغطهُم واختلافهم) (٤).

ففي الحديث أن الاختلاف قد يكون سبباً في حرمان الخير.

وهذه بعض آثار شؤم المعصية على امة محمد ﷺ.

(١) تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة ص:٢٣٦..

(٢) ظهر لعمر ﵁ أن الأمر ليس للوجوب وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح فكرة أن يشقَّ على النبي ﷺ وهو في تلك الحالة مستحضراً قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾.

(٣) رواه البخاري ١١٤، ٤٤٣٢، ٥٦٦٩، ٧٣٦٦ ومسلم ١٦٣٧ (٢٢).

(٤) كتاب الطب للإمام النسائي ص: ٤٤ تحقيق سامي التوني.

الفصل الرابع

أمور خطيرة لا يفطن لها العبد ، شؤمها شنيع ووقوعها سريع

عقوق الوالدين وقطيعة الرحم :

قال النبي ﷺ : « بُرُّوا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم » (١).

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : (طوبى للمؤمن ثم طوبى له، كيف يحفظ الله ﷻ ولده من بعده) (٢). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سرَّهُ أن يُبسَط عليه رزقه ، ويُنْسَأ له في أثَرِه فليَصِل رَحِمَه » (٣).

هذا فيمن بر والديه ووصل رحمه ، أما من عقَّهما وقطع رحمه، فالويل كل الويل له ، والضد بالضد ، فمن زرع العنب حصد العنب ، ومن زرع الشوك لا يحصد إلا الشوك، وكما تدين تدان ، حتى قيل : صلاح الأباء يدرك الأبناء (٤)، ففي حديث لأبي هريرة رضي الله عنه : (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم ، قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال: نعم أما ترضين أن أصِلَ من وصلك ، وأقطع من قطعك؟ قالت : بلى، قال : فذلك لك) (٥).

يقول ابن الجوزي : (كان بعض العاقين ضرب أباه وسحبه إلى مكان ، فقال له الأب: حسبك إلى هنا سحبت أبي !) (٦).

فلا تعجب إذا رأيت كثرة العاقين فهم يسددون ديناً سابقاً نسيه أباؤهم ولم يفطنوا إلى قوله ﷻ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق/١٨، وهذا بسبب شؤم للعصية السابقة.

---

(١) حديث صحيح، انظر: النوافح العطرة للصفدي ص : ٨٦.

(٢) كتاب الزهد للإمام أحمد ص :٧٢.

(٣) مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني ص: ٤٧٠، رقم الحديث ١٧٦٢.

(٤) يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً ﴾ الكهف/٨٢ .

(٥) مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني ص: ٤٧١، رقم الحديث ١٧٦٤.

(٦) صيد الخاطر لابن الجوزي ص :٣٩١.

✷ الزنا ومقدماته :

فمن زنا والعياذ بالله أو فعل شيئاً من مقدماته: كالغزل ونحوه، فإنه يتسبب بشؤم المعصية على أهل بيته وأمه وأخته وزوجته وابنتته، قال الله ﷻ : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ الاسراء/٣٢، وانظر إلى كلمة: (ولا تقربوا)، ولم يقل: (ولا تقترفوا) حتى مقدمات الزنا لها عقاب رادع، وهذا جانب من شؤم المعصية.

وأما الجانب الآخر فاقرأ معي هذا الحديث العجيب: في سنن ابن ماجة من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله ﷺ فأقبل بوجهه، فقال: « يا معشر المهاجرين خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: **ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا..** » [(١)]. **فالأمراض الناتجة عن الشذوذ، والانحراف الجنسي،** يترجمها هذا الحديث حرفياً، وهذه الأمراض **لها صفات مميزة عن جميع الأمراض الأخرى** مما يدلك على أنها عقوبة إلهية ـ عياذاً بالله منها ـ فمن هذه الصفات [(٢)]:

أولاً: المناعة الطبيعية:

إذا أصيب إنسان بمرض جرثومي كالحصبة مثلاً، وقدِّر له الشفا، تتكون بقدرة الله مضادات طبيعية ضد مسببات المرض تساعد بإذن الله على شفائه، إلا المرض الجنسي، فالأمر يختلف تماماً فهو محروم، إذ قد يصاب بالمرض ثانية فور الانتهاء من الإصابة الأولى!.

ثانياً: الوسط وطريق الانتقال:

جراثيم الأمراض الجنسية لا تصيب إلا الإنسان ولا تعيش إلا عليه، فهي لا تعيش على الحيوان، ولا تنتقل إلى الإنسان إلا عن طريق واحد فقط وهو الجنس أو ما يؤدي إليه مما هو من شؤم المعصية، بل صار بعضها ينتقل عن طريق الدم واللعاب أيضاً!

---

(١) رواه ابن ماجة رقم ٤٠١٩، وأبو نعيم في الحلية ٨/٣٣٣، وفيه ابن أبي مالك، والحكم ٤/٥٤٠، وقال الذهبي: صحيح الإسناد، وقال الألباني في طريق الحاكم: العمدة في الأحاديث الصحيحة رقم ١٠٦.

(٢) كتاب الأمراض الجنسية عقوبة إلهية د/عبدالحميد القضاة ص: ١٣.

ثالثاً: جرثومة الزهري تتحدى العلماء في العالم:

أغلب الأمراض المعدية أمكن عزلها وزراعتها صناعياً في المختبرات ودراستها إلا جراثيم الأمراض الجنسية: كفيروس الثآليل الجنسية والزهري مثلاً، فقد استعصت على الزراعة، وبالتالي لا يعرف عنها إلا النزر اليسير. هذا الغموض الذي يلف أنواع هذه الجراثيم دون غيرها مرده أنها عقوبة إلهية: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الفتح/٤.

رابعاً: خاصية القدرة:

تتمتع جراثيم الأمراض الجنسية بخاصية لا تمتلكها الجراثيم الأخرى، فجرثومة الزهري مثلاً لولبية الشكل كالأفعى، وذات طرفين حادين ولها مقدرة عجيبة على اختراق جلد الأعضاء التناسلية والشفاه لتدخل الجسم، في حين يشكل الجلد السليم مانعاً طبيعياً يحمي الجسم من الجراثيم التي تحطُّ مع الغبار، ففيه مواد دهنية تساعد على قتل ومنع دخول الجراثيم، فتضطر للدخول عن طريق آخر كالرئتين مع الهواء والمعدة والأمعاء مع الطعام والشراب، لكن هذه الدفاعات الطبيعية تتهاوى أمام جرثومة الزهري.

خامساً: الازدواجية (التعددية):

ممارسة الجنس ولو لمرة واحدة مع طرف آخر مصاب يمكن أن يؤدي إلى العدوى ليس بمرض واحد فقط، بل بعدة أمراض قد تصل إلى خمسة دفعة واحدة!

سادساً: الوقاية:

أغلب الأمراض الجرثومية المعدية استطاع العلم إعداد أمصال لها، أما الأمراض الجنسية فالوضع يختلف تماماً!

سابعاً: انتشار متعدد:

أمر طبيعي أن تنتقل الأمراض المعدية من إنسان إلى آخر مسببة له نفس المرض، أما جراثيم الأمراض الجنسية فتتعدى آثارها من المُصاب إلى غيره، فالمصابة بمرض زهري ـ أعاذنا الله منها ـ تورث هذا المرض إلى أبنائها خلقياً أو أثناء عملية الولادة، وهكذا يضاعف لها العذاب أضعافاً في نفسها وبمن تتصل به، أما المصابة بمرض السيلان فقد تلوث عيني مولودها بالتهاب يؤدي به إلى العمى بسبب شؤم المعصية.

ثامناً: مرض الأيدز:

وهو ما يعرف بمرض فقدان المناعة المكتسبة ، وهو فيروس يهاجم خلايا الدم فيؤدي بالتالي إلى ضعف جهاز المناعة فيصاب بالأمراض البكتيرية والطفيلية وتضخم الغدد الليمفاوية على ناحيتي الجسم ، مع نقص الوزن ومرض جلدي على شكل بقع قرمزية اللون تشبه آثار الكدمات ، يصاحب ذلك إسهال شديد وصعوبة تنفس وكحة جافة لعدة أسابيع مع إضطراب عقلي وعدم تركيز وخمول والتهاب رئوي وسرطان في الجلد وحمى دائمة وتعرق ليلي مع انحطاط جسدي شامل .

وسببه : اتصال جنسي ، شذوذ (لواط) ، وتعاطي المخدرات بالحقن ، نقل الدم عن طريق المشيمة للجنين أو الرضاعة عن طريق اللعاب ، قال ﷻ : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾ يس/١٢.

هذا المرض [١] عقوبة إلهية أهلك آلافاً مؤلفة ، ولم يجد الطب اليوم له أي علاج يوقفه. وهذا بلا شك شؤم المعاصي حتى أنه ابتلى به من لا ذنب له عن طريق نقل الدم !

البلاء موكل بالمنطق:

في الحديث: « **لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك** » [٢]، والشماتة : أن يعيِّر المسلم أخاه المسلم بذنب قد تاب منه ، أو يستهزئ بشكله أو منطقه أو حركاته ، وهذا أمر خطير قلَّما يُفطن إليه، وفي الأثر: (من عيَّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله) رواه الترمذي.

وقال الإمام أحمد رحمه الله : سمعت الحسن يقول: (كنا نحدث أنه من عيَّر أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه ابتلاه الله عز وجل). [٣]

---

(١) ومن تلك الأمراض التي بدأت تفتك بالبشر (السرطان المرعب) والجلطة والفشل الكلوي إلخ وهو حكم بالإعدام إذا لم يتدارك الله المريض برحمته وهي ناتجة عن تلوث الأرض بالأشعة ومخلفات المتجات الصناعية وسوء التغذية وقبح العادات والانحرافات عن سنن الله وقبل هذا كله شؤم المعاصي قال تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون). انظر الطب محراب الإيمان د/ خالص جلبي ص: ١٢٤.

(٢) رواه الترمذي والطبراني وغيرهما عن معاذ مرفوعاً وقال الترمذي: إنه حسن غريب انظر: تمييز الطيب من الخبيث لعبدالرحمن الأثري ص: ١٧١ ، وانظر: الأذكار للنووي ص: ٥٤٢.

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد ص: ٣٤٢ .

وقال ابن سيرين رحمه الله: (عيَّرتُ رجلاً بالإفلاس فأفلست !) .

وقال ابن الجوزي رحمه الله: (قال شخص: عِبْتُ شخصًا قد ذهب بعض أسنانه فانتثرت أسناني !). (١)

وينقل عن بعض السلف قوله: (لوسخرت من كلب لخشيت أن أحول كلباً).

ووالله إن هذا مشاهد ونتائجه واضحة سواء كانت في المستهزئ أو في ذريته، وذلك كله بسبب شؤم المعصية وما تجره من مآس، ولا يرد هذا البلاء إلا هذا الدعاء العظيم (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً)، ويقول ﷺ : « من قاله لم يصبه ذلك البلاء ». (٢)

اللعن وشؤمه:

اللعن هو السمة الغالبة في أكثر حديث الناس ، وهذه من البلايا التي عمت وطمَّت، وقد يصدق علينا حديث رسول الله ﷺ لما سئل عن السقَّارين، قال: «نشء يكونون في آخر الزمان، تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا: التلاعن» . (٣)

وانظر إلى شؤمها في هذا الحديث عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً، رجعت إلى الذي لعن، فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها». (٤)

بل يتعدى هذا الشؤم إلى حرمانه من الشهادة والشفاعة، كما في حديث أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء ». (٥)

ويتناوله شؤم المعصية حتى ولو كان الملعون غير عاقل، كما في حديث ابن عباس

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص:٣٩١.
(٢) الفوائد لابن القيم ص:٢٥٧ قاله ابن مسعود سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٦.
(٣) رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم، أنظر: مجموع أخبار آخر الزمان للمشعلي ص:١٢٩.
(٤) رواه أبو داود ، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ، رقم الحديث ٤٩٠٥ .
(٥) رواه مسلم وأبو داود ، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ، رقم الحديث ٤٩٠٧ .

في الرجل الـذي لعـن الريح فقـال الـنبي ﷺ : « لا تلعنهـا فإنهـا مـأمورة، وإنه مـن لعـن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه». (١)

ومن أكبر الكبائر أن **يلعـن الرجـل والديـه** بطريـق غـير مباشر، كمـا أخـبر ﷺ : « يسبُّ الرجل فيسب أبه، ويسب أمه فيسب أمه» (٢)، ويقاس على اللعن تفسيق أو تكفير المؤمن. (٣)

الوسواس:

وسببه شؤم المعاصي السابقة فإذا تاب الرجـل مـن ذنوبه جاءه الـشيطان يخذله ويـذكره ذنوبه السابقة حتى ييأس من رحمة الله، بينما المؤمن الذي لم ينتهك حرمات الله مطمئن القلب فلا يجد الشيطان مدخلاً عليه من هذا الجانب(٤)، كما قال علي بـن أبي طالـب ﷺ: (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة) (٥)، وقال ﷻ : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّـن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ الشورى/٣٠.

وجماع ذلك كله:

هذا الحديث العجيب: قال وهب بن منبه رحمه الله: إن الرب ـ تبارك وتعالى ـ قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل: (إني إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، **وليس لبركتي نهاية،** وإني إذا عصيت غضبت، **وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد).** (٦)

وهذا لا يعارض قوله ﷻ: ﴿ **وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى** ﴾ الزمر/٧ ، ولكـن الإنـسان بشؤم معصيته يهيئ لأبنائه وذريته رفقة السوء وطريق الشر والغواية، فـلا تكـون لذريته حماية رب العالمين وحفظه وتوفيقه: ﴿ **وَكَانَ أَبُوهُمَـا صَـالِحاً** ﴾ الكهف/٨٢ ، فالحذر الحذر من كل معصية تدرك بشؤمها السابع من الولد.

---

(١) مختصر صحيح سنن أبي داود للألباني ص: ٣/٩٢٧، رقم الحديث ٤١٠١.
(٢) مختصر صحيح البخاري للزبيدي ص: ٤٦٦ رقم الحديث ٣٠٠٧.
(٣) لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يرمى رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) مختصر صحيح البخاري ص: ٤٦٩، رقم الحديث: ٢٠٣٠.
(٤) أدركت هذا من خلال رقية كثر من الناس وهذا حكم غائب.
(٥) الفوائد لابن القيم ص: ١٠٦.
(٦) الزهد للإمام أحمد ص: ٦٩.

الفصل الخامس

آثار المعاصي على العبد

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله فمنها (١) :

١/ **حرمان العلم:** فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئه.

٢/ **وحشة** يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا تقارنها لذة أصلاً.

٣/ **وحشة** تحصل بينه وبين الناس، لا سيما أهل الخير والصلاح.

٤/ **تعسير أموره:** فلا يتوجه إلى أمر إلا ويجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه.

٥/ **ظلمة** يجدها في قلبه حقيقة يحس به فتوهن قلبه وبدنه وتحرمه الطاعة.

٦/ **المعاصي تقصر العمر**، وتمحق بركته إلى الأبد، والعياذ بالله.

٧/ **المعاصي تزرع أمثالها**، ويولد بعضها بعضاً، حتى يعز على العبد مفارقتها.

٨/ وهي من أخوفها على العبد: **أنها تضعف القلب** عن إرادته فتقوى المعصية وتضعف التوبة.

٩/ **ينسلخ من القلب استقباحها**، فتصير له عادة حتى يفتخر بالمعصية فلا يعافى.

١٠/ **تطفئ من القلب نار الغيرة**، وذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب.

١١/ **تدخل العبد والعياذ بالله تحت لعنة رسول الله ﷺ** .

١٢/ **حرمان العاصي من دعوة رسول الله ﷺ**، ودعوة للملائكة الكرام المستغفرين للمؤمنين.

١٣/ **تستدعي نسيان الله لعبده**، وذلك هو الهلاك: ﴿ **وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ الحشر/١٩.

---

(١) انظر: كتاب الجواب الكافي لابن القيم ص: ٥٤ حتى ١٠٧، بتصرف.

١٤ / الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها، فكان من الغافلين: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ المطففين/١٤ .

١٥ / ومن عقوباتها: ما يلقيه الله ـ سبحانه ـ **من الرعب والخوف في قلب العاصي،** فإن الطاعة حصن الله العظيم.

١٦ / تخون العبد في لحظات العسر والشدة، وخاصة عند الاحتضار فتسوء خاتمته.[(١)]

✷ آثار ترك الذنوب والمعاصي (في الدنيا) :

قال ابن القيم رحمه الله [(٢)]: (سبحان الله رب العالمين ! لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا: إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذي جعله الله قواماً لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقرة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفساق والفجار، وقلة الهم والحزن، وعز النفس عن احتمال الذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسبه، وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم، والثناء الحسن في الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة التي تلقى له في قلوب الناس، وانتصارهم له، وحميتهم له إذا أوذي، أو ظلم، وذبهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الإنس والجن عنه، وتنافس الناس على خدمته، وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا في قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على الملك الكبير والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجدان حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين له، ودعائهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له، وإقباله عليه، وفرحه بتوبته).

---

(١) وهذا مشاهد بكثرة عند ساعة الاحتضار نسأل الله السلامة.

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم ص: ١٥٢، ١٥١ بتصرف.

✷ آثار ترك الذنوب والمعاصي (إذا مات العبد) :

تتلقاه الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا يحزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة، ينعم فيها إلى يوم القيامة.

✷ آثار ترك الذنوب والمعاصي (في الآخرة) :

إذا كان يوم القيامة كان الناس في الحر والعرق، وهو في ظل العرش فإذا انصرفوا بين يدي الله أخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم . (١)

فطوبى لمن ترك الذنوب، وكما قال الحسن البصري: (يا ابن آدم ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة). (٢)

---

(١) انظر: الفوائد لابن القيم ص: ١٥٢ .

(٢) الزهد للإمام أحمد ٢/٢٤٢ .

الفصل السادس

التوبة وشروطها

توبة العبد تقبل بشروط ثلاثة : الندم على فعل الذنب، **والإقلاع** عنه، **والعزم** على أن لايعود إليه، (والرابع : **رد المظالم إلى أهلها** إن وُجدت حقوق للآخرين)، ولابد أن تكون التوبة **قبل فوات وقتها.**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (فأما الندم: فهو الندم على ما سلف من الذنوب، وأما الإقلاع: فهو الإقلاع عن الذنب في الحال، وأما العزم : فهو العزم على أن لا يعاوده في المستقبل). (١) قال النبي ﷺ : **« كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».** (٢)

فلا بد من المبادرة إلى التوبة على سبيل الفور، يقول الغزالي رحمه الله : (أعلم أنه إذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة، فمتناول سموم الدين وهي (الذنوب) أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن). (٣)

ويقول الحسن البصري رحمه الله : (اهتمام العبد بذنبه داع إلى تركه، وندمه عليه مفتاح توبته، ولا يزال العبد يهتم بالذنب حتى يكون له أنفع من بعض حسناته). (٤)

وقال بكر بن عبدالله المزني رحمه الله : (إن أعمال بني آدم ترفع، فإذا رفعت صحيفة فيها استغفار رفعت بيضاء، وإذا رفعت صحيفة ليس فيها استغفار رفعت سوداء). (٥)

فالاستغفار **صفة المؤمن** ، وقد قال النبي ﷺ: **« مثل المؤمن مثل السنبلة ، تستقيم مرة ، وتَخِرُّ مرة ، ومثل الكافر مثل الأرزة ، لا تزال مستقيمة حتى تَخِرَّ ولا تشعر ».** (٦)

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ص: ١٢٣.
(٢) صحيح الجامع الصغير ٤٣٩١ ، رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي.
(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٤/ ١٥٥.
(٤) ذم الهوى لابن الجوزي ص: ١٠٣.
(٥) ذم الهوى لابن الجوزي ص: ١٧٤.
(٦) صحيح الجامع الصغير ٥ / ٢٠٠.

يقول النبي ﷺ : « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة ».[(١)] فإذا كان محمد ﷺ يستغفر الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! فنحن من باب أولى، وقد انغمسنا في أوحال الذنوب.

أنظر إلى فرحة الله بتوبة عبده وهي لا تنفعه ولا تضره، قال النبي ﷺ : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح ».[(٢)]

فتجب المسارعة إلى التوبة، لأن تأخير التوبة بحد ذاته يحتاج إلى توبة، يقول ابن القيم رحمه الله : (وقَلَّ أن تخطر هذه ببال التائب ، بل عنده: أنه إذا تاب من الذنب، لم يبقَ عليه شئ آخر، **وقد يبقى عليه التوبة من تأخير التوبة**).[(٣)]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشئ أو الحالة التي تشكل علي، **فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل**، وقد أكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو المدرسة، ولا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي).[(٤)]

وأخشى ما يُخشى على الإنسان اتباع الهوى، لأنه يُهلك صاحبه من حيث لا يدري. ورد في الأثر أن إبليس قال: (أهلكت بني آدم بالذنوب، **وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله**، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً).[(٥)]

(١) رواه مسلم ٢٧٠٢ .
(٢) رواه مسلم ٢٧٤٧ .
(٣) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم هذبه عبدالمنعم العزي ص: ١٥٧.
(٤) ابن تيمية بطل الإصلاح الديني ص: ١٢ لمحمود مهدي الاستانبولي .
(٥) حديث صحيح، انظر: النوافخ العطرة للصفدي ص: ٨٦.

والذي منعهم من التوبة، كما يقول يحيى بن معاذ رضي الله عنه: (**طول الأجل**، وعلامة التائب: إسبال الدمعة، وحبُّ الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل هَمَّة). (١)

فإذا لم توجد تلك العلامة **فإنما هو استدراج**، فعن عقبة بن نافع قال: قال ﷺ: «إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج». (٢)

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن الله **يُملي للظالم** فإذا أخذه لم يُفلِته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود/١٠٢ ». (٣)

إذن لا بد من التوبة النصوح لجميع الجوارح، قال المحاسبي رحمه الله:

(**توبة العين**: كفُّها عن النظر إلى المحارم (الحرام).

وتوبة السمع: كفُّه عن سماع المحرم.

وتوبة اليد: كفُّها عن تناول المحرم.

وتوبة القدمين: كفُّها عن السعي إلى المحرم.

وتوبة الفرج: كفُّه عن الزنا.

وهكذا جميع الجوارح حتى **العقل له توبة**، وهي كفُّه عن التفكير في المحرم، **واللسان** يتوب، فلا يدعو إلى مكروه). (٤)

والمعاصي تمنع الطاعات كما قال الحسن البصري رحمه الله: (إذا لم تقدر على قيام الليل ولا صيام النهار فاعلم أنك محروم، **قد كبَّلتْكَ الخطايا والآثام**). (٥)

ويقول عبدالله بن المبارك: (من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون في السنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة). (٦)

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي ص: ١٧٤.
(٢) صحيح الجامع الصغير ١/٥٧٥.
(٣) الزهد للإمام أحمد ص: ٣٠.
(٤) التوبة للمحاسبي، ص: ٥٢.
(٥) حديث صحيح، انظر: النوافخ العطرة للصفدي ص: ٨٦.
(٦) تذكرة السامع والمتكلم للكناني ص: ٦٨.

ولو عمِلتَ الطاعة حرمتك المعاصي لذَّتها ، سئل وهب بن منبه رحمه الله: هل يجد لذة الطاعة من يعصي؟ فقال رحمه الله: (ولا من هَمَّ [١] ! (أي بالمعصية)).

ووصف الإمام أحمد رحمه الله وقوع العبد في المعصية **حينما كان يمشي في الوحل، ويتوقى** ، فغاصَت رجله، فخاض، وقال لأصحابه: **(هكذا العبد لا يزال يتوقَّى الذنوب فإذا واقعها خاضها)**. [٢]

فإيَّاك إيَّاك وصغائر الذنوب. يقول الغزالي رحمه الله : (فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها، **ومثلها في ذلك**: قطرات من الماء تقع على الحجر على تَوَالٍ فتؤثر فيه، وذلك القَدرُ من الماء لو صُبَّ عليه دفعة واحدة لم يؤثر) [٣]، ولذلك قال الرسول ﷺ : «خير الأعمال أدومها وإن قل». [٤]

يقول ابن القيم رحمه الله : (**الإصرار على المعصية معصية أخرى**، والقعود عن تدارك الفارط في المعصية إصرار ورضىً بها وطمأنينةٌ إليها، وذلك علامة الهلاك). [٥]

ومعنى الإصرار هنا كما يقول المحاسبي رحمه الله هو: **(أن تبقى في القلب حلاوة المعصية)** [٦] يقول الماوردي رحمه الله : (ضاحك معترف بذنبه خير من بَاكٍ مُدْلٍ على ربه، وبَاكٍ نادم على ذنبه خير من ضاحك معترف بلهوه). [٧]

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص:٥١.
(٢) الآداب الشرعية للمقدسي ١/ ٩٧.
(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٤/ ١٩٥
(٤) صحيح البخاري ٦٤٦٥.
(٥) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم هذبه العزي ص: ١٢٣.
(٦) التوبة للمحاسبي ص: ٥٥.
(٧) أدب الدنيا والدين للماوردي ص: ١٠٥.

الفصل السابع

مكفرات المعاصي

أعلم ـ رحمنا الله وإياك وكل مسلم ـ أنه لا يكفي مجرد التوبة لإبعاد شؤم المعصية كما مَرَّ بك، بل لا بدَّ من **مكفِّرات لهذه المعصية** حتى **تطهُر تماماً** كتطهير سؤر الكلب عندما يَلِغُ في الإناء ! ، فقد قال فيه ﷺ : « إذا ولغَ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات، وعفروه الثامنة في التراب ». [(١)]

يقول ابن رجب: (ويُكفِّر المعاصي :

١/ التوبة النصوح : قال ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر/٥٣.

٢/ الاستغفار : وفي الحديث: «لو لم تذنبوا لَذَهَبَ الله بكم **وجاء بقوم يذنبون، ثم يستغفرون الله فيغفر لهم** ». [(٢)]

٣/ الحسنات الماحية: قال ﷻ : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود/١١٤ ، ويدخل في ذلك أعمال البر والصدقة.

٤/ دعاء المؤمنين للمؤمن : كدعائهم له بالمغفرة وصلاتهم على جنازته فيشفعون له.

٥/ شفاعة محمد ﷺ : كما في الحديث الصحيح : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». [(٣)]

٦/ المصائب المكفرة في الدنيا : كما في الحديث الصحيح: « مايصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله بها من خطاياه». [(٤)] بشرط **الصبر عليها**.

٧/ رحمة الله وعفوه : بلا سبب من العباد.

يقول ابن رجب: **(فمن أخطأته هذه السبعة فلا يلومن إلا نفسه)**. [(١)]

---

(١) مختصر صحيح مسلم للنووي رقم الحديث ١١٩ ص: ٤١.
(٢) مختصر صحيح مسلم للنووي رقم الحديث ١٩٢٢ ص: ٥١١.
(٣) جامع الأصول ١٠/ ٤٧٦ ، رقم الحديث ٨٠١٢.
(٤) مختصر صحيح مسلم للنووي رقم الحديث ١٧٩٨، ص: ٤٧٧.

٨/ **والثامنة: وهي تعفير التراب**، قال ابن تيمية رحمه الله: (ما يحصل له في القبر من **الفتنة، والضغطة، والرَّوعة، وأهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها**).[٢]

✷ كيف تحمي نفسك من خواطر المعصية ؟ :

يقول ابن القيم[٣]: (ويَحمِي نفسك:

١/ **العلم الجازم بإطلاع الرب** - سبحانه - ونظره إلى قلبك وعمله بخواطرك.

٢/ **حياؤك** منه سبحانه وتعالى.

٣/ **إجلالك أن يرى منك** مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلق لمعرفته.

٤/ **خوفك** منه أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

٥/ **إيثارك له** أن يساكن قلبك غير محبته.

٦/ **خشيتك** أن تتولد تلك الخواطر ويستعر شرارها، فتأكل ما في القلب من الإيمان ومحبة الله.

٧/ **أن تعلم** أن تلك الخواطر بمنزلة الحَبِّ الذي يُلقى للطائر ليُصاد به.

٨/ **أن تعلم** أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان في قلب إلاَّ تَغَلَّبَ أحدهما.

٩/ **أن تعلم** أن تلك الخواطر بحر من بحور الخيال لا ساحل له، فإذا دخل القلب غرق وتاه.

١٠/ **أن تعلم** أن تلك الخواطر وادي الحمقى وأماني الجاهلين، فلا تثمر لصاحبها إلا الندامة).

فإذا غرقت في تلك الخواطر - لا سمح الله - فاستمع إلى تلك القصة التي تُروى عن كسرى ملك الفرس:

أنه خرج إلى الصيد يوماً وأوغل في الركض، وانقطع عن عسكره، واستولى العطش عليه، ووصل إلى بستان فلما دخله، قال للصبي: أعطني رمانة واحدة. فأعطاه، فشقَّها، وأخرج حبها وعصرها فخرج منها ماء كثير فشربه وأعجبه ذلك الرمان، فعزم في

---

(١) تسلية أهل المصائب ص: ٢٥٠.

(٢) انظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية ص: ٢٩- ٤٣.

(٣) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص: ١٧٦، ١٧٥.

نفسه أن يأخذ ذلك البستان من مالكه، ثم قال لذلك الصبي: أعطني رمانة أخرى، فأعطاه، فعصرها، فخرج منها ماء قليل فشربه فوجد فيه فَصاً مؤذياً! فقال: أيها الصبي لم صار الرمان هكذا؟ فقال الصبي: لعل ملك البلد عَزَم على الظلم **فلأجل شؤم ظلمه** صار الرمان هكذا؟ فتاب أنوشروان في قلبه عن ذلك الظلم، وقال لذلك الصبي: أعطني رمانة. فأعطاه، فوجدها أطيب من الرمانة الأولى! فقال للصبي: لم بُدِّلت هذه الحالة؟ فقال الصبي: لعلَّه ملكُ البلد **تاب عن ظلمه**!.

وعلَّق الرازي على هذه القصة فقال: فلا جرم أن بقي اسمه مخلداً في الدنيا بالعدل حتى من الناس من يروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ولدت في زمن الملك العادل». [(١)]

فالحذر الحذر من الذنوب، وبخاصة ذنوب الخلوات، في الحديث عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، **فيجعلها الله ﷻ هباءً منثوراً**». قال ثوبان: يا رسول الله: صفهم لنا، جَلِّهِمْ لنا، لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «أمَا أنهم إخوانكم من جِلْدِكم، ويأخذون من الليل ما تأخذون **ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**». [(٢)]

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: (ليحذر امرؤٌ أن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لايشعر! ثم قال: أتدري ممن هذا؟ قلت لا. قال: **إن العبد يخلو بمعاصي الله فيُلقِي الله بغضَهُ في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر**)، [(٣)] لذلك قال ابن الجوزي: (واعلم أنه من أعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب، **فإن العقوبة تتأخر**، ومن أعظم العقوبة **أن لاَ يُحِسَّ الإنسان بها**، وأن تكون في سلب الدين وطمس القلوب) [(٤)] ـ عياذاً بالله من ذلك ـ.

---

(١) تفسير الرازي ٢٤٤/١.

(٢) رواه ابن ماجه وإسناد صحيح ج٢، رقم الحديث ١٤١٨.

(٣) الجواب الكافي لابن القيم ص: ٤٧.

(٤) حديث صحيح، انظر: النوافخ العطرة للصفدي ص: ٨٦.

الفصل الثامن

عقوبة الذنب واقعة ولو بعد حين ...

لا شك أن الجزاء واقع ، سواءً كانت سيِّئة أو حسنة ، **ومن الاغترار أن يظنَّ المُذنب إذا لم يَرَ عقوبة أنه قد سُومح**، وربما جاءت العقوبة بعد مدَّة أو في الآخرة، وقَلَّ من فعل ذنباً إلا وقُوبل عليه، فينبغي للإنسان **أن يترقَّب جزاءَ الذنوب** فقَلَّ أن يسلم منه ، وليجتهد في التوبة ، فقد روي في الأثر : **(ما من شئ أسرع لحاقاً بشئ من حسنة حديثة لذنب قديم)**. ومع التوبة يكون خائفاً من المؤاخذة متوقعًا لها ، فإن الله تعالى قد تاب على الأنبياء السابقين بالشفاعة ، يقول آدم : ذنبي. ويقول إبراهيم وموسى: ذنبي .

فإن قال قائل : قوله ﷻ: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ النساء/١٢٣ [(١)]، **خبرٌ يقتضي أن لا يُجَاوَز عن مذنب** وقد عرفنا قبول التوبة والصفح عن الخاطئين ؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما : أن يُحمل على من مات مُصِراً ولم يَتُب ، فإن التوبة تَجُبُّ ما قبلها.

الثاني: أنه على إطلاقه (وهذا الذي اختاره ابن الجوزي وهو وجيه) واستدل على ذلك بالنقل والمعنى.

أما النقل : فإنه لما نزلت هذه الآية قال أبوبكر : يا رسول الله أونجازَى بكل ما نعمل؟ فقال ﷺ : « أَلَسْتَ تمرض، ألست تحزن، أليس يصيبك اللأَّواء؟ **فذلك ما تجزون به**».

أما المعنى : فإن المؤمن إذا تاب وندم **كان أسفه على ذنبه في كل وقت أقوى من كل عقوبة** ، فالويل لمن عرف مرارة الجزاء الدائمة ، وآثر لذة المعصية لحظة!

---

(١) بتصرف من صيد الخاطر لابن الجوزي ص :٣٩١ ، ٣٩٢.

✷ الاغترار برحمة الله جهل :

بعض الناس يغتر برحمة الله ، وينظر إلى جانب الرحمة فقط ، وينسى أن الله شديد العقاب !

يذكر أبو عمرو بن العلاء : أن الفرزدق جلس إلى قوم يتذاكرون رحمة الله فكان أوسعهم في الرجاء صدراً ، فقالوا له: لم تقذف المحصنات؟ فقال : أخبروني لو أذنبت إلى والديَّ ما أذنبته إلى ربي ﷻ أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقذفاني في تنور مملوءٍ جمراً؟ قالوا : لا ، إنما يرحمانك. قال : فإني أوثقُ برحمة ربي منهما !

قال ابن الجوزي (١) تعليقاً على هذه القصة : وهذا هو الجهل المحض، **لأن رحمة الله** ﷻ **ليست بِرِقَّةِ طبع** ، ولو كانت كذلك ما ذُبح عصفور ولا أُميت طفل، ولا أُدخل أحدٌ إلى جهنم . **والخطأ هنا من وجهين:**

أحدهما : أنه نظر إلى جانب الرحمة **ولم ينظر إلى جانب العقاب.**

الثاني : أنه ينسى **أن الرحمة إنما تكون للتائب** كما قل ﷻ: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ** ﴾ طه/٨٢ ، وقوله : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ﴾ الاعراف/١٥٦.

وفي وقتنا الحاضر عندما يرتكِبُ الشباب المعاصي تسمع بعض الناس يقول :هؤلاء شباب، **والله غفور رحيم**، وينسون أيضاً : **أنه شديد العقاب.**

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص: ٣٩١، ٣٩٢.

الفصل التاسع

ما هو المخرج من شؤم المعاصي ؟

حديثنا عن شؤم المعصية وما يسبِّبه من آثار مريعة في الفرد والأمة ؛ **لا يعني هذا تقنيطاً من رحمة الله** ، ولكنه **التنبيه على خطر المعاصي** ، ووجوب الاتصال بالله ﷻ في كل وقت .

في الصحيح عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ فيما يحكى عن الله ﷻ قال : « **أذنب عبدي ذنباً** فقال : اللهم أغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، **ثم عاد فأذنب** فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، **ثم عاد فأذنب** فقال : أي رب اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك». (١)

ومعنى هذا الحديث أنَّه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ، وأن العبد لا يقنط من رحمة الله مهما عمل من الذنوب ، وأن الاتصال بالله وذكره دائماً مدعاة لغفران الذنوب ، وأن من صفات الله أنه غفور وتواب ، وفي ذلك دلالة على سعة رحمة الله ومغفرته ، لكن ينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه حتى ولو تاب منها لعدم علمه بقبول توبته .

يقول ابن الجوزي رحمه الله (٢) : (**إني رأيت أكثر الناس قد سكنوا إلى قبول التوبة**، وكأنهم قد قطعوا على ذلك ، **وهذا أمر غائب ، ثم لو غفرت ، بقي الخجل من فعلها**، ويؤيد الخوف بعد التوبة أنه في الصحاح : إن الناس يأتون إلى آدم عليه السلام ، فيقول : ذنبي ، وإلى نوح ، وإلى إبراهيم ، وإلى موسى وعيسى (٣) صلوات الله وسلامه عليهم ، وكلهم يقول :

---

(١) مختصر صحيح مسلم للنووي رقم الحديث ١٩٣٥ ، ص: ٥١٤.

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي ص: ٣٣٠ ، ٣٣١.

(٣) هذا وهم من ابن الجوزي في نبي الله عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ففي الصحاح أنه لا يذكر ذنباً.

ذنبي ، فهؤلاء إذا اُعتبرت ذنوبهم لم تكن أكثرها ذنوباً حقيقةً، ثم إن كانت ، فقد تابوا منها واعتذروا، وهم بَعْدُ على خوف منها، ثم إن الخجل بعد قبول التوبة لا يرتفع، وما أحسن ما قال الفضيل بن عياض رحمه الله : واسوأتاه منك وإن عفوتَ ، فأفٍ والله لمختار الذنوب ، ومؤثر لذة لحظة ، تبقى حسرة لا تزول عن قلب المؤمن وإن غفر له). (١)

فإذا خاف الإنسان من ذنوبه وعمل صالحاً وتعاهد نفسه بالحسنات الماحية، **فقد يكون الذنب السابق سبباً لدخول الجنة !** أما كيف يحدث هذا؟ فيقول إبراهيم بن أدهم في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ الرحمن/٤٦: (إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله ﷻ) (٢) ، وعن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إن العبد ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة . قالوا: يا رسول الله وكيف يدخله الجنة؟ قال: **يكون نصب عينه فاراً تائباً، حتى يدخله ذنبه الجنة**». (٣)

وقيل لسعيد: من أعبد الناس؟ قال: (رجل اجترح من الذنوب فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله). (٤)

فإذا أردت أن تخرج من شؤم المعاصي فتعاهد نفسك بالاستغفار والحسنات الماحية ، وكن على خوف من ذنوبك، واسأل الله حسن الخاتمة.

وأختم بهذه القصة: بكى سفيان الثوري رحمه الله ليلةً إلى الصباح، فلما أصبح قيل له: أكُلُّ هذا خوفاً من الذنوب؟ فأخذ تِبْنَةً من الأرض ، وقال: الذنوب أهون من هذه، **وإنما أبكي خوفاً من سوء الخاتمة !** وعلَّق ابن القيم رحمه الله على هذا فقال: (وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخدعه ذنوبه عند الموت ، فتحول بينه وبين حسن الخاتمة). (٥)

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص: ٣٣١.
(٢) الزهد للإمام أحمد ص: ٤٣٧.
(٣) الزهد للإمام أحمد ص: ٤٧٤.
(٤) الزهد للإمام أحمد ص: ٤٦٤.
(٥) حديث صحيح، انظر: النوافخ العطرة للصفدي ص: ٨٦.

الفصل العاشر

معاصي ينبغي تجنُّبها ، ورد نهيه ﷺ عنها

المعصية و دليلها من الحديث الصحيح الوارد عنه صلى الله عليه وسلم:
الكِبْر: « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ **مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ** » ، **الْكِبْرُ :** رَدُّ الْحَقِّ، وَاحتقار النَّاسِ.
الرياء : « مَنْ سَمَّعَ **سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ** (أي فضحه يوم القيامة)، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ (أي يُظْهِر سريرته)» .
الفحش : « إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ **وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ** ».
الكذب : « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ **فَيَكْذِبُ** ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ ».
التجسس: « وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ **صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ** يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».
التصوير: « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ **الْمُصَوِّرُونَ** » ، «لا تَدْخُلُ الْمَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ »
النميمة : « **لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ** » ، والنميمة هي: نقل الحديث بين الناس لغرض الإفساد.
الغيبة: « **ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ** » « لـمَّا عُرِجَ بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت :من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين **يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم** ».
اللعن: « لَعْنُ الْمُؤْمِنِ **كَقَتْلِهِ** » ، « لا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».
الحسَد : « إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ **يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ** كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، أَوْ قَالَ : الْعُشْبَ ».
إفشاء السِّر: « إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا ».
الربا : « **لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ » ، «دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ **يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً** ».
إدمان الخمر: « **لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ** صَاحِبُ خَمْسٍ : **مُدْمِنُ خَمْرٍ** وَلا مُؤْمِنٌ بِسِحْرٍ وَلا قَاطِعُ رَحِمٍ وَلا كَاهِنٌ وَلا مَنَّانٌ ».
طلب العلم لأجل الدنيا : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ﷻ لا يَتَعَلَّمُهُ إِلا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ الدُّنْيَا **لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ** يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».
خروج المرأة مُتعطِّرة: « كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ ، وَالْمَرْأَةُ إِذَا **اسْتَعْطَرَتْ** فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا يَعْنِي زَانِيَةً ».
تكفير المسلم : « أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ : يَا كَافِرُ فَقَدْ **بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا** ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلا رَجَعَتْ عَلَيْهِ ».
المنتسب لغير أبيه : « مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ **فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ** » ، « فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ ».
ترويع المسلم : « لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا » ، « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ **فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ** حَتَّى يَدَعَهَا ».
زيارة النساء للقبور: « لَعَنَ اللهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ » ، « قالت أم عطية رضي الله عنها: نُهِينَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا ».
هجر الزوج : « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ **لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ** حَتَّى تُصْبِحَ ».
غشُّ الرعية : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلا **حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** ».
الفُتْيا بغير علم : « مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ ».
طلب الطلاق : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ **فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ** ».
غصب الأرض: « مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنْ الأَرْضِ ظُلْمًا **طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ ».

الكلام بسخط الله: « وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً **يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سبعين خريفاً** ».
الكلام بغير ذكر الله: « لا تُكْثِرُوا الْكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ **قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ** ».
المتشبه بغير جنسه وبالكافر: « **لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ الْمُتَشَبِّهَاتِ بِالرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ ». « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ **فَهُوَ مِنْهُمْ** »
الوصل والوشم: « **لَعَنَ اللَّهُ** الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ ».
هجر المسلم: « لا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ »، « مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ **كَسَفْكِ دَمِهِ** ».
العائد في هبته: « الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ **كَالْكَلْبِ يَقِيءُ** ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ » « لا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا ».
النظر إلى المحرمات: « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا **النَّظَرُ**، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا **الاسْتِمَاعُ**، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ **الْكَلامُ**، وَالْيَدُ زِنَاهَا .... وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ ».
الخلوة بالأجنبية: « لا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ **فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا** ».
الزواج بلا ولي: « أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا **فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ** فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ».
العمل للناس: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي **تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** »
علم العمل بما يعلم: « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ **كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ** ».
كتم العلم: « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ **أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ** ».
الكذب على الرسول: « إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا **فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** ».
علم التنزّه من البول: « اتَّقُوا الْبَوْلَ فَإِنَّهُ **أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ فِي الْقَبْرِ** ».
سفر المرأة بلا محرم: « **لا يَحِلُّ** لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ ».
النياحة: « مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ **يُعَذَّبُ** بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »، « **لَعَنَ** رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ ».
إيذاء المصلين: « مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا **فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّى** مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ ».
الحلف بغير الله: « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ **فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ** »، « مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ ».
اليمين الكاذبة: « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ **لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ** ».
الحلف في البيع: « إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ **ثُمَّ يَمْحَقُ** »، « الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ **مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ** ».
البناء على القبر: « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ ».
الغدر: « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ **يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ** فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بْنِ فُلانٍ ».
الجلوس على القبر: « لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ **فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ** فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ ».
الحداد على الميت: « **لا يَحِلُّ** لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ إِلا عَلَى زَوْجٍ ».
المسألة: « ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ .. وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا **فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ** ».
التناجش: « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ **وَلا تَنَاجَشُوا** وَلا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ».
نشد ضالة بمسجد: « مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: **لا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ** فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا »

المرور أمام المصلي : « لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ **يَقِفَ أَرْبَعِينَ** خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ».

ترك العصر والجمعة : « مَنْ تَرَكَ صَلاةَ الْعَصْرِ **حَبِطَ عَمَلُهُ** » « مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوُنًا بِهَا **طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ** »

تقصير في الصلاة : « الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا **فَقَدْ كَفَرَ** » ، « بين الرجل **والشرك** ترك الصَّلاة ».

من دعا لضلالة : « مَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الإِثْمِ **مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ** لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ».

منهيات الشرب : « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ الْقِرْبَةِ أَوْ السِّقَاءِ » ، « زَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ الشُّرْبِ قَائِمًا »

السرقة : « وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ **وَهُوَ مُؤْمِنٌ** » ، « **لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ** يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ ... »

الشرب بالشمال : « لا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ وَلا يَشْرَبَنَّ بِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ **يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ** وَيَشْرَبُ بِهَا ».

قطيعة الرحم : « **لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ** قَاطِعٌ » ، « مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ **قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ** ، **وَإِنَّ أَعْجَلَ الْبِرِّ ثَوَابًا لَصِلَةُ الرَّحِمِ** حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُونَ فَجَرَةً فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا »

ترك الصلاة على النبي : « **رَغِمَ أَنْفُ** رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ » « **الْبَخِيلُ** مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ »

التشدق بالكلام : « إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ **الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ** »

اقتناء الكلاب : « مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا إِلا كَلْبَ **صَيْدٍ** أَوْ **مَاشِيَةٍ** فَإِنَّهُ **يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ** كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ ».

تعذيب البهائم : « عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ **فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ** » « لا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا ».

معاداة أولياء الله : « إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا **فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ** ».

قتل المستأمن : « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا **لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ** وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ ».

حرمان الوارث من إرثه : « مَنْ قَطَعَ مِيرَاثَ وَارِثِهِ ؛ **قَطَعَ اللهُ مِيرَاثَهُ** مِنَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ ».

من همُّه الدنيا : « مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ **جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ** وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لَهُ ».

اللواط : « **لَعَنَ اللَّهُ** مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ » ، « مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ **فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ** ».

الزنا : « فانطلقت مَعَهُما فإذا بَيْتٌ مبنيٌّ على بِنَاءِ التَّنور ، أعْلاه ضَيِّقٌ ، وأسفلُه واسعٌ ، يُوقد تحته نَار ، فيه رجَالٌ ونسَاءٌ عُرَاةٌ ، فإذا أُوقِدَت ارتفعُوا ، حتى يَكادوا أن يخرجُوا ، فإذا أخمِدَت رَجَعُوا فيهَا ، فقلتُ : ما هَذا؟ » ثم قال : « **وأما الذي رأيتَ في التَّنور ؛ فهُم الزُّناة** ».

الكذب : « وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ **وَهُمَا فِي النَّارِ** » ، « **المؤمن لا يكذب** » ، « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَقَالا لِي : الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ **فَيُصْنَعُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** »

خمس تأتي بخمس : « خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ؛ لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا **فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ** وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلا **أُخِذُوا بِالسِّنِينَ** وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا **مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ** وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلا **سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ** فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلا **جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ** ».

الخاتمة

ينبغي أن نحذر عواقب المعاصي إذا أردنا السلامة في الدنيا والأخرة، وهذالا يتأتى إلا بترك المعاصي والحذر منها وملازمة الاستغفار.

يقول ابن الجوزي: (ينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي فإنه ليس بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم، وإنما هو قائم بالقسط، حاكم بالعدل، وإن كان حلمه يسع الذنوب، وإذا شاء أخذ باليسير، فالحذر الحذر) [1].

هذا ما أحببت الإشارة إليه في هذا البحث لأهمية الموضوع الذي يتاوله من شكوى الناس من قسوة القلوب، ومحق البركات، ووساوس الشياطين، **الذي سببه بالتالي شؤم المعاصي** ـ عياذاً بالله منها ـ، فما كان فيه من خطأٍ فمن نفسي، واستغفر الله العظيم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ما دعوة أنفع يا صاحبي :: من دعوة الغائب للغائب
ناشدتك الرحمن يا قارئاً :: أن تسأل الغفران للكاتب

الرياض/ غرة محرم ١٤٢١هـ
وكتبه: أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن السدحان

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص: ١٣٢.

ثبت المراجع

١	**القرآن الكريم.**
٢	**تفسير الرازي.** للرازي .
٣	**مختصر صحيح البخاري.** للزبيدي.
٤	**مختصر صحيح مسلم.** للمنذري تحقيق الألباني .
٥	**صحيح سنن أبي داود.** للألباني.
٦	**صحيح سنن الترمذي.** للألباني.
٧	**صحيح سنن ابن ماجه .** للألباني.
٨	**صحيح الجامع الصغير.** للألباني.
٩	**فتح الباري.** لابن حجر العسقلاني.
١٠	**جامع الأصول .** لابن كثير.
١١	**النوافح العطرة.** للصفدي.
١٢	**تأويل مشكل الحديث.** لابن قتيبة.
١٣	**تمييز مشكل الحديث.** عبدالرحمن الأثري
١٤	**الحلية.** لأبي نعيم.
١٥	**تذكرة السامع والمتكلم.** للكناني .
١٦	**تهذيب مدارج السالكين.** عبدالمنعم لعزي.
١٧	**إحياء علوم الدين .** للغزالي .
١٨	**فتاوى شيخ الإسلام.** لابن تيمية.
١٩	**الزهد .** لابن القيم .
٢٠	**الفوائد.** للماوردي.
٢١	**أدب الدنيا والدين .** لابن القيم .
٢٢	**الجواب الكافي.** للنوي.
٢٣	**الأذكار.** لابن الجوزي.
٢٤	**صيد الخاطر.** لابن القيم .
٢٥	**طريق الهجرتين وباب السعادتين.** لابن القيم.
٢٦	**الإيمان الأوسط.** لابن تيمية.
٢٧	**ذم الهوى.** لابن الجوزي .
٢٨	**مفتاح دار السعادة.** لابن القيم .
٢٩	**التوبة .** للمحاسبي.
٣٠	**تلبيس إبليس.** لابن الجوزي .
٣١	**الآداب الشرعية .** للمقدسي .
٣٢	**تسلية أهل المصائب.** لابن رجب.
٣٣	**الحسن البصري.** لابن الجوزي.
٣٤	**نثر الدرر .** لأبي سعيد الآبي .
٣٥	**الأمراض الخبيثة عقوبة إلهية.** د.عبدالحميد قضاة.
٣٦	**الطب محراب الإيمان.** د. خالص جلبي.
٣٧	**مجموع أخبار آخر الزمان.** للمشعلي.
٣٨	**ابن تيمية بطل لإصلاح الديني.** لمحمد مهدي استانبولي.
٣٩	**التدريبات العملية في علم الموجة الذاتية.** م/يحيى حمزة شوكك.
٤٠	**معاني القرآن الكريم.** للإمام أبي جعفر الخاس
٤١	**معاني القرآن .** للزجاج

الفهرس